عرض كتاب: الاستراتيجية الأمريكية الشرق أوسطية
للدكتور حسين حافظ وهيب

عرض: أ.م.د. ابتسام محمد العامري

ثمة مقولة شائعة في أدبيات علم الاجتماع، شكلت في الذاكرة المعرفية بعداً فلسفياً عميق الجذور ، ربما تصلح أن تكون مقدمة لخلاصة تنفيذية في موضوعة المرتكزات والتحولات الأساسية في الاستراتيجية الأمريكية شرق الأوسطية ومن ثم موقع العراق فيها .

((من تعلم لغة قوم أمِن شرهم))

اللغة التي نعني هنا ليست اللغة الانسانية بفروعها المختلفة المتعلقة بالتفاهم الانساني، بل لغة الاستراتيجيات التي تضعها الدول في مواجهة بعضها للبعض الاخر.

ولأن منطقة الشرق الأوسط التي نرتمي اليها قد تميزت بثلاثية الموقع والثراء والثقافة الاسلامية ،فضلاً عن سعة أسواقها التجارية الضرورية لتلبية متطلبات شعوبها الحياتية، وخلو معظم وحداتها السياسية من برامج تنموية واعدة تنسجم مع التطورات العلمية الحاصلة في البيئة الدولية، لذلك فقد كانت وما زالت وستبقى محط اهتمام الكثير من القوى الكونية المتنافسة، ونقطة التقاء وأحياناً افتراق وتصادم لمعظم تلك القوى، التي تريد من خلال السيطرة على هذه المنطقة، التماهي مع النظريات الجيوبوليتيكية الحديثة، التي تغيرت بموجبها نظريات المجال الحيوي، فاتسعت لتمتد من قلب أوراسيا شمالاً التي عدها ماكيندر (السويداء) الى غرب واحيانا جنوب غرب آسيا، وتحديداً ايران ومنطقة الخليج العربي والعراق، وهنا تبرز وحدات سياسية بثلاثية جديدة تمثل سويداء الشرق الاوسط دافعةً التنافس الدولي الى مستوى خطير، وتماهياً مع ذلك يكتسب الموضوع أهميةً خاصة ليس على مستوى معرفي يتعلق فقط بالكيفية التي تُصاغ بها عملية صنع السياسات العامة أو الاستراتيجيات الكبرى، بل على المستوى الأكاديمي المعني بتعميق المعرفة

العلمية في مجال متابعة التطورات الحاصلة أو التحولات السياسية التي تترافق مع التغيرات الأساسية في النظامين الدولي والاقليمي.

وفي الوقت الذي تتزايد فيه أهمية الموضوع تتزايد أيضاً وبالوتيرة نفسها الصعوبات التي تواجه البحث في هذا المجال والتي يمكن إجمالها بثلاث .

١ -إن صياغة الاستراتيجيات غالباً ما يكتنفها الغموض والضبابية وكثيرا ما تُحاط بالسرية التامة، لأ نها تختص بالأهداف النهائية التي تضعها الدول في مواجهة سواها ،وتتزايد السرية بوتائر متصاعدة اذا ما اخذنا بالاعتبار أن الدراسة تختص بالولايات المتحدة التي تمتلك أكبر المؤسسات الأمنية والمخابراتية في العالم، والقادرة على إخفاء الكثير من المعلومات المتعلقة باستراتيجياتها الكونية.

٢ - صعوبة الحصول على البيانات المتعلقة بالموارد المتاحة خاصة اذا ما علمنا أن تعريف الاستراتيجية في معظم الأدبيات السياسية هي (فن استخدام الموارد المتاحة لتنفيذ الأهداف النهائية للدولة،ولأن الموارد الأساسية للولايات المتحدة في حالة تغير مستمر منذ تنامي وظهور قوى دولية جديدة كالاتحاد الأوربي وروسيا الاتحادية والصين والهند وهذه القوى تنافس الولايات المتحدة في مناطق نفوذها الاساسية وبما ينعكس سلباً على مواردها الاساسية اولاً ، وثانياً لان الاقتصاد العالمي هو الآخر في حالة تذبذب مستمر منذ الازمة العالمية المالية الاولى عام ١٩٢٩م وحتى الآن، لذا تزداد الصعوبة في الحصول على البيانات الدقيقة والمؤكدة، خاصة وأن موارد الولايات المتحدة ومنذ ان شنت حروبها الوقائية والاستباقية في افغانستان والعراق ،ومن ثم تعرضت الى ازمة مالية خطيرة آخذة في الاستقرا ر تارةً والتراجع تارةً اخرى ، لذلك يصبح من الضروري لتذليل تلك الصعوبات الاعتماد على منهجية بحث تستطيع ان تستحضر الخلاصات النهائية لتلك الاستراتيجية من خلال العودة الى استقراء الموارد التي كانت متوفرة في فترة مقارنة ومقاربتها مع فترة الدراسة .

٣ -وطبقاً لذلك ينبغي اعتماد المنهج المقارن في الدراسات السياسية الذي هو الآخر الأصعب من بين الكثير من المناهج العلمية، إلا أنه الأقرب الى مثل هذا النوع من

الدراسات .وبالاعتماد على الفرضية التي تنطلق من اهمية العراق في الرؤيا الاستراتيجية الامريكية والتي ترى ان موقع العر اق في الاستراتيجيةِ الامريكية يمثل البوابة الرئيس ة لمدخل تغيير النظم السياسية في الشرق الاوسط ،وبموجب هذه الفرضية تمت صياغة عنوان الدراسة، في محاولة للاجابة واثبات أن التحولات الاستراتيجية الشرق أوسطية أمر مطلوب لأي إدارة أمريكية لاحقة لحقبة بوش الابن،ليس بسبب كثرة الأخطاء المرتكبة في تلك الفترة وإنما إستجابة لمتطلبات التحول الاستراتيجي على الصعيدين الداخلي والدولي، والذي عُد بموجبهما سلوك الولايات المتحدة من وجهة نظر الكثير من دول العالم بأنه خارج عن المألوف في العلاقات الدولية، وانها دولة يمكن الاستغناء عنها في النظام الدولي لأنها اذا ما تدخلت في شريء فانها تفسده ، وهي المرة الأولى التي تتعرض فيها السياسة الأمريكية الى تراجع خطير على المستوى العالمي ،ولأن حركة التصحيح الجارية في الاستراتيجية الامريكية تبدأ بمساندة التحولات السياسية ذات الطبيعة الديمقراطيةِ، فأن ذلك ينعكس ايجاباً على الحركة السياسية للولايات المتحدة في محاولتها لملمة الجهد الدولي لحل اشكالية التحولات الدولية، من جانب آخر فانها تحاول الحفاظ على الأمن القومي الأمريكي الذي تعرض الى مخاطر جمة لا سيما بعد ١١ايلول من العام ٢٠١١م ،واذا نظرنا الى أن الأم ن بمفهومه الواسع هو ليس أمن الأفراد فقط، بل هو منظومة مترابطة من الوحدات التي تتشكل بموجبها ومن خلالها قدرات الدولة الإقتصادية والسياسية والمجتمعية ،أي القدرات النهائية للدولة.

لذلك فان معالجة مشكلات الأمن الأمريكي تبدو ملحة في عهد الرئيس أوباما لا سيما وإن عهد الرئيس السابق بوش الإبن قد تعرض الى هزات حقيقية ليس على المستوى الإقتصادي فحسب بل على المستويات الاخرى كافة ،وعلى هذا الأساس تحاول المنهجية المتبعة أن تجيب وتوضح صحة الفرضية المنوه عنها،وعليه تمت صياغة هيكلية حاول المؤلف قدر الامكان ان تكون مفرداتها منتظمة ومتناسقة الى حد بعيد في طرحها وتحليلها انطلاقاً من تقسيم الدراسة الى قسمين:

القسم الأول – يحاول صياغة مجمل التصورات الفكرية لعملية صنع الاستراتيجية الامريكية والتي ترتكز على نوعين من المبررات الفرعية، الاولى ايدي ولوجية وهي المبررات الدينية والفلسفية والاستثنائية، أما الثانية فارتكزت على مبررات مادية وهي الجيوسياسية والجيواقتصادية والجيوامنية الأ أنها جميعاً وفي مجمل مراحل صياغتها تتاثر بثلاث مدارس فكرية اساسية هي :-

١ - المدرسة المثالية ذات الاتجا هـ الليبرالي الذي يسمى أحيانا الا تجاه التجريدي الحديث والذي يختلف عن الاتجاه الكلاسيكي القديم الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر، فاليبراليون الجدد ينظرون الى الحكومة المركزية على أنها وسيلة مهمة للحفاظ على مصالح الأكثرية، ويمثل هذا الاتجاه الرئيس الأمريكي الأسبق وودرو ولسن في مبادئه الأربعة عشر، أفكار هذه المدرسة تقوم على مناهضة التدخلات العسكرية في الخارج ومعارضة الزيادة في الانفاق العسكري ، كذلك من روادها الرئيس الأسبق روزفلت في برنامجه (the new deal) في زعمه (ان الحقيقة التي لا خلاف عليها هي أن الحزب الديمقراطي ظل على الاقل منذ عام ١٩٣٢م الحزب الليبرالي في حين ان الحزب الجمهوري ظل الحزب المحافظ)،.وفي ضوء ذلك يمكن القول أن من يمثل اتجاهات هذه المدرسة في المرحلة الراهنة هو الرئيس باراك اوباما .

٢ - المدرسة الأخرى المناهضة للمدرسة المثالية وهي المدرسة الواقعية ، وتسمى أحيانا بمدرسة القوة في العلاقات الدولية، التي مثلها فكريا مورجنثاو وشتراوس،ومن ابرز روادها مستشار الامن القومي الامريكي الاسبق هنري كيسنجر ، وهي ذات اتجاه محافظ، ويمكن أن يكون منتجها الواقعي على الصعيد الرسمي الأمريكي هم اليمين المحافظ كما يُسمون في عهد الرئيس ا لأسبق ريغان، أو المحافظون الجدد في عهد الرئيس السابق بوش الابن . ويتصف الخطاب السياسي لهذه المدرسة بالمحافظة على القيم التقليدية اليهودية المسيحية ،أي التراث البيورتاني الكالفيني .

٣ - أما المدرسة الحديثة التي يختلف الكثير من المهتمين بالشؤون الفكرية بشأن أعت بارها مدرسة فكرية أم تياراً، فهي التي ظهرت بعد انتهاء الحرب الباردة والتي اثرت تأثيراً كبيراً

في رسم استراتيجيات الأدارات الأمريكية المتعاقبة منذ تلك المرحلة فهي مدرسة صراع الحضارات التي مثلها فكرياً برنارد لويس ومن بعده صمويل هنتنغتون .

هذه المدرسة أرست دعائم جذور فرقة وخلاف مصيري بين الحضارات ، مدعيةً بحتمية صراعها ، دافعة باتجاه ارساء مبادئ جديدة في العلاقات الدولية كمبدأ الحرب الاستباقية والوقائية، ومبدأ المحاور الدولية (محور الخير والشر) وإحياء أفكار دينية سالفة كفكرة الحرب الصليبية المستندة الى مبدأ التكليف الالهي، وهذه المدرسة هي من أنصار او المروجة للحرب الوقائية تحديداً.

أما القسم الآخر من الهيكلية فقد تناول الجانب العملي من التحولات الاستراتيجية التي مثلتها سياسة الرئيس الحالي باراك اوباما الهادفة الى التخلي عن فكرة المواجهة العالمية القائمة على مبدأ صراع الحضارات، والعدول عن ربط الاسلام بالارهاب وكذلك التخلي عن فكرة الحروب الوقائية ومحاولة تجنب فرض النموذج الأمريكي في إدارة شؤون الدول الداخلية ،ومحاولة إرساء نظام عالمي قائم على الشراكة وليس الهيمنة، مثلما ورد في وثيقة الأمن القومي الأمريكي لعام ٢٠١٠م، الأمر الذي يعكس عمق الخلاف بين توجهات السياستين الجمهورية والديمقراطية في الحياة السياسية ، وهو ما سيحاول البحث التحقق منه في ما سيرد من معلومات لاحقة

وتنتهي الدراسة الى موضوع موقع العراق في التحولات الأستراتيجية الشرق أوسطية وهنا تتم الاشارة الى ما يمثلة العراق من استثنائية على صعيد الجيو موقعية والجيواقتصادية والجيوامنية .

لذلك فإن احتلاله لم يكن في أطار رد الفعل الأمريكي على سياسات النظام العراقي السابق ،بل جاء مترابطاً ونتيجة تخطيط مسبق في إطار الأستراتيجية الأمريكية في المنطقة الهادفة الى السيطرة على منابع النفط وخطوط نقله وحماية أمن الحليف الشرق أوسطي اسرائيل ،وليس كما يعتقد البعض ان الاحتلال قد حصل لأسباب آنية تتعلق بموضوع امتلاك العراق أسلحة الدمار الشامل أو التعاون مع الم نظمات الارهابية او أنه يهدد الا ستقرار في منطقة الخليج، بل لأسباب أبعد من ذلك بكثيرسيأتي البحث على ذكرها لاحقاً.

لقد اختار محافظو الولايات المتحدة الجدد العراق نموذجاً للتعميم في المنطقة ،في ظل هيمنة أمريكية واضحة على نظام دولي أحادي القطبية ،ونظام أقليمي عربي غارق في مشاكل وصراعات عربية –عربية، ومصالح أنظمة حكم لا تزال تبح ث عن شرعية خارج إطار مجتمعاتها ليس لديها مناعة داخلية تكفي لمواجهة الاملاءات الامريكية ٠واخيراً التوصيات المتعلقة بالصورة النهائية للشرق الأوسط الجديد .

الكتاب الجديد اطلالة فكرية متميزة لا تزال المكتبة العراقية والعربية بحاجة اليها اغناءً لضرورات نحن بامس الحاجة اليها .